***الجذور الفكرية والعقائدية للفكر المعتزلي***

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

 ***إعداد / عادل محمد فتحي***

 ***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

 ***شاه علم - ماليزيا***

*adel.mater@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : الفكرية والعقائدية للفكر المعتزلي**

**الكلمات الافتتاحيه: الفكريه، العقائديه، المعتزلى**

* ***.المقدمة***

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الجذور الفكرية والعقائدية للفكر المعتزلي**

* **.*عنوان المقالة***

هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية، فالجعد بن درهم، أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي، وقيل: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية، وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات، وإن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد موردا من موارد الفكر الاعتزالي؛ إذ أنه كان يقول بالأصلح ونفي الصفات الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية، ونفي القدر عند المعتزلة الذي يظهر على يد معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، قيل: إنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبا يونس سنوسيه، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني.

تأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات، فمن ذلك قول أبناء "دقليس"، الفيلسوف اليوناني: إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط، وهو العلم المحض، وهو الإرادة المحضة، وهو الجود، والعزة، والقدرة، والعدل، والخير، والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء، بل هي هو، وهو هذه كلها.

وكذلك قول "أرسطوطاليس"، في بعض كتبه: "إن الباري عِلم كله، قدرة كله، حياة كله، بر كله"، فأخذ العلاف -وهو من شيوخ المعتزلة- هذه الأفكار، وقال: "إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته".

وأخذ النظَّام من ملاحدة الفلاسفة، قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة، أي: أن الجسم يمكن أن يكون في مكان "أ"، ثم يصبح في مكان "ج"، دون أن يمر في "ب"، وهذا من عجائبه، حتى قيل: إن من عجائب الدنيا، طفرة النظَّام، وكسب الأشعري.

وإن أحمد بن خابط، والفضل الحدثي -وهما من أصحاب النظَّام- قد طالعا كتب الفلاسفة، ومزجا الفكر الفلسفي، مع الفكر النصراني، مع الفكر الهندي، وقالا ما يلي: "إن المسيح هو الذي سيحاسب الخلق في الآخرة، وإن المسيح تدرع بالجسد الجسماني، وهو الكلمة القديمة المتجسدة"، وقالا بالقول بالتناسخ، وحملا كل ما ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى، على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبتدع؛ وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات.

يؤكد العلماء، تأثير الفلسفة اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ؛ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم، فقد طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة، وتمذهب بمذهبهم، حتى إنه خلط وروج كثيرًا من مقالاتهم بعباراته البليغة، ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق، حيث نشأ المعتزلة، والذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة، فبعضهم ينتهي إلى الكلدام، وبعضهم إلى الفرس، وبعضهم نصارى، وبعضهم يهود، وبعضهم مجوس، وقد دخل هؤلاء في الإسلام، وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية، فجمع المعتزلة كل ذلك في أفكارهم، وليت المعتزلة قد ماتوا، وليت أفكارهم قد انتهت، لكن الفاجعة أن فكر الاعتزال لا يزال باقيًا في الأمة تحت أثواب جديدة؛ حيث يحاول بعض الكُتاب والمفكرين في الوقت الحاضر، إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفا عليه الزمن أو كاد، فألبسوه ثوبًا جديدًا وأطلقوا عليه أسماء جديدة، مثل: العقلانية، أو التنوير، أو التجديد، أو التحرر الفكري، أو التطور، أو المعاصرة، أو التيار الديني المستنير، أو اليسار الإسلامي.

وقد قوَّى هذه النزعة، التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل الإنساني، فلجئوا إلى التأويل، كما لجأت المعتزلة من قبل، ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات المادية، وما تفسير الشيخ محمد عبده، لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة، أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل إلا من هذا القبيل، وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجديد، هو ذلك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي: أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر، وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي، محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة، مثل: عقوبة المرتد، وفريضة الجهاد، والحدود وغير ذلك، فضلًا عن موضوع الحجاب، وتعدد الزوجات، والطلاق، والإرث... إلى آخره.

وطالب أصحاب هذا الفكر، إعادة النظر في ذلك كله، وتحكيم العقل فيه، ومن الواضح، أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه؛ هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر.

ومن دعاة الفكر الاعتزالي في العصر الحديث؛ زعماء، وأدباء، ومفكرون، ومصلحون، وعلماء أضفيت عليهم ألقاب، وأعطيت لهم رتب، وألقيت عليهم أضواء، وأُفسح لهم المجال للكتابة والخطابة، للظهور واللمعان، فحاربوا شرع الله باسم الإصلاح، والتجديد، والتنوير، وأدخلوا المسلمين في معارك كانوا أغنى الناس عنها، وجعلوا الدين شيعًا وأحزابًا.

هذا ويتضح مما سبق، أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية، مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون، وكانت هذه الحركة نوعًا من ردة الفعل التي حاولت أن تعرِض الإسلام وتصوغ مقالاته العقائدية والفكرية بنفس الأفكار والمناهج الوافدة؛ وذلك دفاعًا عن الإسلام ضد مَلاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه، ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة، كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية؛ تنزهًا لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين.

ومن الواضح أيضًا، أن أتباع المعتزلة الجدد وقعوا فيما وقع فيه أسلافهم، وذلك أن ما يعرضون الآن من اجتهادات، إنما الهدف منها أن يظهر الإسلام بالمظهر المقبول عند أتباع الحضارة الغربية، والدفاع عن نظامه العام، قولًا بأنه إن لم يكن أحسن من معطيات الحضارة الغربية، فهو ليس بأقل منها؛ ولذا فلا بد أن يتعلم الخَلَف من أخطاء سلفهم، ويعلموا أن عزة الإسلام وظهوره على الدين كله، هي في تميز منهجه، وتفرد شريعته، واعتباره المرجع الذي تقاس عليه الفلسفات والحضارات، في الإطار الذي يمثله الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح في شمولهما وكمالهما.

وأشهر ما ذكر في مصنفات أهل السنة، في الرد على المعتزلة قديمًا وحديثًا: (الملل والنحل)، للشهرستاني، و(الفرق بين الفرق)، للبغدادي، و(مقالات الإسلاميين)، للأشعري، و(الإبانة عن أصول الديانة)، للأشعري، و(القاضي عبد الجبار الهمذاني)، للدكتور عبد الكريم عثمان، و(ابن تيمية)، للشيخ محمد أبو زهرة، و(درء تعارض العقل والنقل)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(البداية والنهاية)، لابن كثير، و(عقائد السلف)، للدكتور علي سامي النشار، و(المعتزلة بين القديم والحديث)، لمحمد العبد، وطارق عبد الحليم، و(الدعوة إلى التجديد في منهج النقد)، لعصام البشير، و(غزو من الداخل)، لجمال سلطان، و(المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة)، للدكتور ناصر العقل، و(أصول الفرق الإسلامية)، للدكتور عمر بن عبد العزيز القرشي

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**